اصدارات قرآنية

كتاب

(ألقُرآنُ الكَرِيمُ –جَمْعُهُ وتَدَوْينُهُ وَضَبْطُهُ)

تأليف الدكتور مهدي صالح سلطان

عرض ونقد
السيد علي الرضوي
بغداد - جمهورية العراق

كثير من الباحثين من كتب عن جمع القرآن وتدوينه وضبط حروفه الا أن الموضوع مازالت به حاجة للدراسة وكشف ما غمض من معلومات تأريخية بهذا الخصوص.

والكتاب الذي نعرض له اليوم الذي صدر عن (مكتبة عدنان) –بغداد –٢٠١٧، ما هو الا أحد تلك المساهمات الجادة في هذا الصدد، فقد جد المؤلف في عرض الموضوع عرضاً موضوعياً مصححاً معلومات مشوشة كانت قد استقرت في أذهان بعض المسلمين وكما عرض ذلك الأستاذ محمد جواد الطريحي –في كلمته التي صدر بها هذه الدراسة الجادة المعمقة ذات الطابع الجدي الجديد محاولاً تصحيح مسارات ورؤى غير واقعية في روايات جمع القرآن وتدوينه، موازناً بين وجهات نظر المختلفين، مرجحاً أن الخلاف في أصله خلاف نظري وغير واقعي بسبب دوافع سياسية ومصالح دنيوية، وجاءت هذه الدراسة لتتجاوز حدود البوابات المغلقة بعد أن جمع في استدلاله وحواره بين علوم متعددة متعلقة بعلوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والأصول والتاريخ والنحو وما الى ذلك من علوم تتعلق بالقرآن الكريم وقد برز ذلك خلال فصول الكتاب ومباحثه.

ففي الفصل الأول بحث الفرضيات والمقدمات في جمع القرآن وقد عرض في مبحثه الأول موضوع أمية الرسول ﷺ وجواز النسيان عليه، ثم عرج على فرضية دوران الجمع بمدار توجيه الخلفاء الثلاثة والدعاوى التي أضرت بجمع القرآن الكريم.

وفي مبحث القراءات والموقف منها كان له أكثر من رأي حصيف مدعوم بالأدلة والتوثيق.

وفي الفصل الثاني عرض المؤلف الكريم للمقولات والشبهات في جمع القرآن وتدوينه وناقش النزول الدفعي الى اللوح المحفوظ في السماء الدنيا، والنزول المنجم المتتابع بحسب الحاجة الى المخاطبين ثم العودة الى الترتيب الدفعي الأول، والعرضات السنوية التي تكررت مرتين في سنة رحيل النبي الأكرم ﷺ هي العودة الى الترتيب الدفعي، في ترتيب التلاوة في المصحف الذي بين الدفتين.

وقد اعترض الكفار على نزول القرآن التدريجي، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾[سورة الفرقان: ٣٢ -٣٣].

يقول المؤلف الفاضل: ان أهل مكة قالوا: تزعم أنك رسول من عند الله أفلا تأتينا بالقرآن جملةَ واحدة كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود.. . وأجاب الله بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾... وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال أنه تعالى لو أنزل القرآن على النبي محمد ﷺ دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقاً منجماً بقي ذلك المنصب العالي عليه فلأجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقاً منجماً، حسبما يرى المؤلف ذلك.

فلو كان نزول الكتب السماوية السابقة مفرقاً كالقرآن، لرد عليهم سبحانه وتعالى بالتكذيب، ولقال لهم: انها سنة الله وسنة المرسلين من قبله ﷺ كما جاء في رده عليهم قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [سورة الفرقان: ٢٠].

ويعزز المؤلف رأيه بما رواه السيوطي في (الاتقان ١/ ١٤٤) في سر انزال القرآن جملة واحدة مرة ومنجماً أخرى: لتضخيم أمره وأمر من نزل عليه، وأن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه اليهم لتنزله عليهم، ولولا أن الحكمة الأهية اقتضت وصوله اليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به الى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها، فجعل له الأمرين: انزاله جملة ثم انزاله مفرقاً، تشريفاً للمنزل عليه.

وقال الحكيم الترمذي: أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث الرسول محمدﷺ وذلك أن بعثته كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمدﷺ وبالقرآن الكريم، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمدﷺ وجاء جبريلؑ بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله الى الأمة. (هذا ما جاء في الأتقان للسيوطي ١/ ١٤٥).

ويقول المؤلف أن عرض القرآن في كل عام بينهﷺ وبين جبريلؑ كان لفوائد عظيمة منها ارجاع القرآن المنجم (الاقرائي) الى ترتيب النزول الدفعي، قرآن التلاوة فضلاً عن تثبيته في قلبهﷺ، فالنص القرآني المطلق هو المجموع بين الدفتين، والآخر المفرق بحسب اللحظة التاريخية والبعد الزمني وسياق الحاجة والمعالجة.

ويؤكد المؤلف مقولة محمد عابد الجابري في الفائدة من الترتيبي: (فأن كان ينتمي الى التاريخي رجعنا الى ترتيب النزول، وان كان ينتمي الى المطلق طرحناه على مستوى القرآن كلاً، ويكون الحكم فيه هو قصد الشارع، وليس الزمن والتاريخ (مدخل الى القرآن الكريم ١/ ٢٩).

والمؤلف الفاضل يؤكد علم النبيﷺ بالقرآن قبل نزوله التدريجي من خلال آيات عديدة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[سورة طه: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[سورة القيامة:

١٦] وان بعض الروايات كانت قد عبرت بالانزال، وبعضها الآخر بالنزول، والذي يفهم من متون اللغة أن التنزيل يستعمل في الموارد التي ينزل فيها الشيء تدريجياً ومتفرقاً، أما الانزال فله معنى واسع يشمل النزول التدريجي والنزول دفعة واحدة.

وان اللغويين يجدون فرقاً دلالياً بين نزل وانزل، وهما بوزن: فعل وافعل، فالاولى تفيد التكثير والمبالغة، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول وأنه يفيد تلبثاً ومكثاً، وعلى ذلك فالقرآن لم ينزل دفعة واحدة، أما اللفظ (انزل) فواضح في استعمال غير (نزل) واللافت أن كل الآيات المذكورة التي تتحدث عن نزول القرآن في ليلة القدر وشهر رمضان قد عبر عنها بـ (انزل) وهو يتوافق مع الانزال دفعة واحدة، في حين عبر بالتنزيل (نزل) فقط في الموارد التي دار الكلام فيها بمدار النزول التدريجي للقرآن، وهذا التفاوت في التعبير القرآني اشارة الى النزولين المختلفين المذكورين، وهنا يورد المؤلف رواية عن الامام أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق وأبي الحسن الامام موسى الكاظم عليهم السلام أنهم قالوا في تفسير انا انزلناه في ليلة المباركة وهي ليلة القدر انزل الله (عز وجل) القرآن فيها الى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة، فالرواية قد عبرت عن النزول جملة واحدة بـ (أنزل) وعن النزول التدريجي بـ (نزل).

فنزول القرآن جملة واحدة الى البيت المعمور في ليلة القدر لدينا في علم النبي صلى الله عليه وآله به مطلقاً، فانه لاسبيل له الى اللوح المحفوظ الذي هو مكنون علم الله الا انه عالم بالعوالم الأخرى.

وان ما خرج فيه المؤلف من نتيجة أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وآله مرتين: نزولاً دفعياً في ليلة القدر، ونزولاً تدريجياً في نحو عقدين من الزمن.

يعرض المؤلف في بحثه الى طريقة نزول الكتب السماوية ويقول: انها كانت تنزل جملة واحدة وهو رأي غالب المحققين، وان كان هناك من قال بغير ذلك، لكنه رأي نادر، وقد تعرض له السيوطي في (الاتقان)، ويتساءل المؤلف عن الفائدة من اختلاف المنهج في نزول رسالات السماء، فغالبها نزلت جملة واحدة بخلاف ما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله أو قل لماذا

اختصت رسالة النبي ﷺ بالنزول الدفعي والتدريجي معاً، ذكروا عدة فوائد يحددها المؤلف بثلاث:

أحدها: لتثبيت فؤاد النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [سورة الفرقان: ٣٢].

ثانيها: لكي تحفظ الأمة وتدرك معانيه بالتدريج لقوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾[سورة الاسراء: ١٠٦].

ثالثها: ان النزول الدفعي ربما لايسمح للناس استيعاب معاني القرآن سماعاً كاملاً ومن ثم تنفيذ أحكامه، فقد يتملص من تنفيذها، ولأجل هذا نزلت الأحكام الشرعية تدريجياً، كالتدرج في تحريم الخمر.

ومما يؤيد لزوم استيعاب الأمة لاحكام القرآن شيئاً فشيئاً بل لزوم التطابق بين ترتيب التنازل نجوماً مع النازل من اللوح المحفوظ دفعة واحدة هو عدم مشاهدتنا تأليف القرآن من الله تعالى طبقاً للنزول، بل ألف طبقاً لترتيب نزوله من اللوح المحفوظ دفعة واحدة وفقاً للأحداث والمقضيات التي لا تعلمها (جمع القرآن للسيد علي الشهرستاني ١/ ١١٩).

يواصل المؤلف حديثه عن ترتيب القرآن الذي عمله أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان بحسب النزول التتابعي اليومي للآيات التي يوثق شأن نزول الآيات وتسلسل الأحداث الواقعة فيها، ولم يلحظ بعمله ما وافق ترتيب النازل من اللوح المحفوظ دفعة أي أنه أراد بجمعه هذا أن يوضح للناس خلفيات الأمور وكيف وصل الأمر بهم الى ما وصلوا اليه (المرجع السابق ١/ ٣٧٢ جمع القرآن).

الامام علي عليه السلام وجمع القرآن:

يروي المؤلف رواية يرويها الرواة عن الامام علي عليه السلام: أنه عندما رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أنه لايضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر.

وهناك نصوص وروايات معتمدة تؤكد أن الامام عليه السلام كان يريد بمصحفه المفسر أن يوضح للناس ماأبهم عليهم من أمور، وهذا الجمع والترتيب التفسيري التأريخي من الامام عليه السلام للقرآن هو الذي عناه الآلوسي في مقدمة تفسيره: ((وقيل كان جمعاً بصورة اخرى لغرض آخر)) (روح المعاني ١/ ٢٢).

فمصحف الامام علي عليه السلام هو ما نزل من القرآن بعينه من دون خلاف ولكن بعض الحاقدين والمغرضين أراد الاساءة وخلط الاوراق والتشويش التاريخي وغمط الحقائق ليستدل على تحريف كتاب الله (عز وجل) بالقول: ان المصحف المنسوب الى الامام علي عليه السلام مصحف محرف والعياذ بالله.

مقولات الاختلاف في ترتيب آيات القرآن وسوره:

اتفق عامة علماء المدرستين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء على توقيفية ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة الا ما شذ وندر من مقولات وروايات ذلك لاشراف رسول الله صلى الله عليه وآله على جمع القرآن فضلاً عن ((أن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة الى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة)) (تفسير الميزان ١٢/ ١٣٠).

وقال آخرون: ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وآله ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، وأن ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل عليه السلام يقول: ((ضعوا آية كذا في موضع كذا)) (تفسير البرهان ١/ ٢٥٦) وقد ذكر جلال الدين السيوطي أيضاً: ((ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وآله وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين)) (الاتقان ١/ ١٩٣) ونقل عن أبن الحصار انه قال: ((ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا))، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وانما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

ويروي المؤلف عن ثلة من علماء الخاصة والعامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((من قرأ

أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه))، وقريب من هذا ما جاء في البخاري (٤/ ١٩١٤، ح ٤٧٢٢): ((من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفناه)).

لقد اختلف العلماء في ترتيب السور فقسم قال: انها رتبت في عهد النبيﷺ وآخرون قالوا: انها رتبت بالاجتهاد وبعده، وقسم ثالث قال: أن كثيراً من السور قد علم ترتيبها في حياتهﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وما سوى ذلك يمكن ان يكون قد فوض الأمر فيه الى الامة كما نقل عن ابن عطية أنه اذا كان الترتيب قد حصل بأمر النبيﷺ فلم اختلف الاصحاب في ترتيب مصاحفهم كابي بن كعب، وابن مسعود اللذين رتبا مصحفيهما على خلاف ترتيب المصحف الذي بأيدينا اليوم؟. وان اختلاف الجامعين في ترتيب سور القرآن لعله كان قبل وقوفهم على أنه أمر توفيقي، ولابد أن يؤخذ من النبيﷺ لأنفسهم بحسب آرائهم، وقد عرض لهذا الأمر سماحة السيد علي الشهرستاني في كتابه (جمع القرآن الذي عرضناه في العدد ٣٣ من المصباح بصورة تفصيلية) ويتلخص رأيه –رعاه الله –في ترتيب الآيات والسور:

١. اشراف رسول اللهﷺ على ترتيب مكان الآيات في السور، أما توفيقية ترتيب السور مختلف فيه، وان اشتهر أنه من جهد عثمان بن عفان.
٢. عدم توقيفية الآيات.
٣. وجود ترتيبين للمصحف أحدهما للتلاوة، والآخر طبقاً للحوادث والوقائع وهو كتاب علم لا تلاوة وذكر.
٤. تكرار العرضات في كل عام توكيد لترتيب القراءة.
٥. استفادة بعض المستشرقين من امكان تأليف الصحابي سور قرآنية من ثلاث آيات.
٦. لفظة القرآن مأخوذة من القراءة، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور، فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي جمعه وقراءته، وقال أبو عبيدة: سمي القرآن قرآناً لأنه جمع السور وضمها.

٧. اقتصار الخلفاء الثلاثة على عدد محدود جداً من الصحابة، وقد تجاوزوا كبارهم المعروفين بعنايتهم بالقرآن، وبترتيب سوره وآياته بحسب نزوله أو ترتيله، فضلاً عن عدم تمييزهم روايات تدوين المصاحف الناقصة غير المعتمدة التي لابد من فرزها، من التي اعتنى بها رسول الله ﷺ ووجه باعتمادها.

٨. ضرورة فرز ما ينسب الى بعض الصحابة من جهود لا يعقل أن تصدر عنهم.

وثمة سؤال مطروح: هل خالف الصحابة والعياذ بالله رسول الله ﷺ فيما رتبه من سور القرآن؟؟. أو هل كان لكل واحد منهم نص لا يطابق في ترتيب سوره لترتيب مصحف رسول الله؟. فلو كان ترتيب المصحف توفيقياً لم يختلف ترتيب السور في مصاحف كبار الصحابة كعلي بن ابي طالب عليه السلام، وابي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل وعائشة ام المؤمنين وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ؟.

فمصحف علي كان أوله: (أقرأ)، ثم (المدثر) ثم (ن) وهكذا الى آخر المكي والمدني، ومصحف ابن مسعود كان أوله: (البقرة) ثم (النساء) ثم (آل عمران) على اختلاف شديد.

ويورد المؤلف الكريم رأياً للمستشرق (نولدكه) في كتابه تاريخ القرآن بوجود تطابق بين ترتيب الآيات المنزلة نجوماً مع النازلة دفعة واحدة (تاريخ القرآن/ ٢٣٧).

ويؤيد المؤلف ما ذهب اليه بعض الدارسين في موضوع جمع القرآن الكريم الى أن مدرسة أهـل البيت عليهم السلام كانت قد صححت الاتجاه المغلوط لمدرسة الخلفاء الثلاثة التي ابتعدت عن المنهج الذي ثبت ترتيب سور القرآن الكريم، فانهم لو أرادوا الاحتجاج بالقرآن للزمهم أن يقولوا بما تقول به مدرسة القرآن الكريم، فانهم لو أرادوا الاحتجاج بالقرآن للزمهم أن يقولوا بما تقول به مدرسة الامامة والوصاية وأنه مجموع على عهد رسول الله ﷺ، وقد أشرف النبي ﷺ على ترتيبه وقد ضبطت آياته وسوره في اللقاء الثنائي بين جبريل الأمين عليه السلام والصادق الأمين ﷺ وجمع ذلك الكتاب بين الدفتين من أكثر الصحابة علماً وأقدمهم اسلاماً وأقربهم الى رسول الله ﷺ.

ونجد أن كثيراً من الصحابة كانوا قد سعوا الى جمع القرآن بين الدفتين من التدوين الشخصي في مصاحفهم الخاصة التي ربما كانت ناقصة كتبوها كما سمعوها من رسول الله ﷺ بحسب النزول من دون رعاية رسول الله ﷺ وتوجيهه، وفي المقابل كان رسول الله ﷺ يلقن اصحابه ويعلمهم الترتيب الموجود، وهذا الذي أشرف النبي ﷺ على ترتيبه مع أقربهم الى رسول الله ﷺ (انظر جمع القرآن للسيد علي الشهرستاني ١/ ٦٧).

ان المؤلف قد عالج كثيراً من القضايا المتعلقة بجمع القرآن وترتيب سوره وعرض لشبهات بعض الدارسين من مسلمين ومستشرقين كشبهة النقص أو التحريف أو الحذف وفند تلك الروايات البعيدة عن الواقع والضعيفة السند التي راجت عبر العصور السالفة ووضع الحق في نصابه مدعماً رأيه بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وكبار الصحابة رضي الله عنهم.

مصحف الامام علي عليه السلام:

ان هذا المصحف مرتب بحسب النزول لأن القرآن على عهد رسول الله ﷺ كان متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما غادر الرسول ﷺ هذه الدنيا قعد علي عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ويقول عدد من المؤرخين: ((ولو وجد مصحفه عليه السلام لكان فيه علم كثير ولكنه لم يوجد)) (الكامل في التاريخ ٨/ ٧٢، تاريخ أبي الفداء ١/ ٥٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ٦٦).

ويبدو أن بعض الباحثين ممن أعمى الحقد قلوبهم من عد هذا المصحف من السراب، ومن وهم الشيعة وخيالهم ولا حقيقة له في الواقع، وانه ولد في محيط هؤلاء الشيعة وان أصله من أفكار عبدالله بن سبأ ومجرد وجود خبر هذا المصحف بقطع النظر عن محتواه يشير الى نقطة الصفر في تحريف القرآن في عقيدة الشيعة (سلامة القرآن من التحريف للدكتور فتح الله المحمدي ٣٩٩ - ٤١٠).

وتشير جملة من المصادر الى أن الامام علي عليه السلام أول من جمع القرآن بين دفتين بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ في أولية جمع غيره بعد مقتل القراء في واقعة اليمامة، وهكذا يواصل

المؤلف في ايراد الأدلة والقرائن والروايات التي تؤكد أن الامام علي عليه السلام هو أول من جمع القرآن الكريم بين دفتين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

حقيقة مصحف فاطمة عليها السلام:

يقول المؤلف: ليس لهذا المصحف صلة بالقرآن، سوى الاشتراك بالتسمية بينهما فكلمة مصحف تستعمل بمعناها اللغوي: الجامع للصحف بين الدفتين والقصد هو المعنى اللغـوي وليس الاصطلاحي، وكانت الزهراء عليها السلام تقرأ القرآن المتداول وتستدل بآياته واستشهدت به في خطبتها في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصرح أئمـــة أهل البيت عليهم السلام الواحد بعد الآخر بأن مصحف فاطمة ما هو بقرآن، انما هو حديث مافيه من قرآنكم حرف واحد (آلاء الرحمن للبلاغي ١/ ٢٧) وان ذلك ليس بقرآن ولا بتفسير لآياته بحسب تعبير الأئمة المعصومين عليهم السلام، بل هو كتاب كان يمليه جبريل على الزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله كي يسليها ويؤنسها وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يدون تلك الأمور (أصول الكافي ١/ ١٣٦ -١٣٧، وجمع القرآن ١/ ٣٠٧).

ويواصل المؤلف الدفاع عن الفكرة ودحض مزاعم الآخرين الذين ينسبون التحريف الى الشيعة وهذا زعم باطل واتهام رخيص يلصقونه بالشيعة الذين قالوا بأنه ما بين الدفتين وليس سوى ذلك وهذه كتبهم المعتبرة تؤكد تلك الحقيقة أما ما يزعمه بعض الغلاة والمتطرفين فلا يعتبر عند عموم علماء الامامية.

ومايثيره الخصوم وأعداء الشيعة من شبهات النقص والزيادة والتحريف من أهم مواد السجال وأخطرها في تهديم الوشائج بين الفرق الاسلامية والمنطلق عند المساجلين من أتباع مدرسة أهل البيت انتقاد روايات جمع الخلفاء والتركيز على الخلل في روايات جمع القرآن وما أحاط بها من التي تم عرضها في الكتاب وماعرضه الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات) والشريف المرتضى في كتابه (الذخيرة في علم الكلام) والطوسي في (التبيان) وقبل هؤلاء جميعاً ابن بابويه القمي الذي يؤكد ان القرآن الرسمي المدون في المصحف هو ذاته القرآن الموحى الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وكل من يزعم غير هذا فانما هو كاذب ومارق.

وما عرضه المحدثون والمعاصرون في مؤلفاتهم العديدة التي تنص على أن هو مابين الدفتين ولا غير ذلك ويدعم هذا الرأي عدد من اجلاء علماء أهل السنة منهم: الشيخ رحمة الله الهندي ومصطفى صادق الرافعي ومحمد عبدالله دراز والشيخ أبو زهرة والشيخ محمد الغزالي وسالم علي البهنساوي ومحمد علي الزعبي وغيرهم كثير وكلهم ينفي تهمة التحريف–والعياذ بالله –المنسوبة الى الشيعة.

ويعرض المؤلف في كتابه القيم هذا الى جمل قضايا وأمور تتعلق بالقرآن جمعاً وتلاوة ورسماً وبلاغة ويعرض كذلك الى جمع كتاب الله وتدوينه في عهد الخلفاء، ومشروع توحيد المصاحف في عهد الخليفة عثمان، وفي مبحث آخر يعرض التطابق بين المنزل والمتداول والاتفاق الحاصل بين أتباع المدرستين على أن القرآن المتداول المعروف المنزل على رسول الله ﷺ ونصه هو المرجع الأول المعتمد عند كل فريق وأخبار التحريف وروايات النقص مركونة في المهمل من كتب الطرفين، واتخاذ الموضوع وسيلة من وسائل التفرقة والمساس بالفكر الآخر موظفاً البحث في تأجيج الصراع المذهبي الذي لا طائل من ورائه سوى التناحر وصدع الوحدة واشاعة الفرقة والخصومة.

ان ماينسب من جمع في عهد الخلفاء انتهى الى جمع الناس على مصحف واحد ليس فيه شئ من التفسير أو التأويل أو بيان موارد النزول ومناسباته، جمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا، وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم.

وصفوة القول في هذا الصدد (موضوع التحريف) وبحسب رأي الشيعة الامامية هو رفض كل ما جاء في بعض الرسائل والكتب التي رويت في كتب قليلة تعبر عن وجهة نظر ضيقة يرفضها عموم علماء الامامية منذ القرون المتقدمة وحتى يوم الناس هذا فروايات التحريف غير مقبولة لأن الآيات والسور المدعاة لايشبه نظمها النظم القرآني بوجه ومع غض النظر عن جميع ذلك فانها مخالفة للكتاب العزيز (تفسير الميزان ١٢/ ١١٢) وهذا الرأي يتطابق مع آراء المسلمين كافة من دون تمييز مذهبي أو فكري.

ويرى المؤلف الفاضل أن القرآن كان قد عبر بسلام المحنة المبكرة بعد وفاة المبعوث

بالحق ﷺ بالرغم من اقحام روايات النقص والتحريف التي جاءت في كتب الحديث اذ أن ألوفاً مؤلفـــة من المصاحف وألوفاً من الحفاظ لاتزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض تكون ألوف المصاحف رقيبة على الحفاظ وألوف الحفاظ رقباء على المصاحف وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدد منهما، نقول الألوف لكنها مئات الألوف مألوف الألوف فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما أتفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلت آلاؤه بقوله في سورة الحجر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقوله في سورة القيامة ((ان علينا جمعه وقرآنه)).

وان كلما ورد من روايات شاذة تنص على تحريف القرآن وضياع بعضه فلا قيمة لها ولايعتد بها وهي روايات مضطربة وضعيفة السند والمتن ومخالفة لآراء عموم ائمة المسلمين (كتاب المصاحف ١/ ١٧٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٥٤).

اللحن وضبط حروف النص الشريف:

قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [سورة القيامة ١٦ -١٨] فان تمام القرآن وكماله من الباري عز وجل، وبهذا يرد زعم من زعم أنه قد بقي منه شئ أو نسبة جمعه الى غير الله تعالى، وعندما أدرك الامام علي عليه السلام خطورة ما وجد عليه أهل البصرة من شيوع اللحن في مرحلة رابعة من مراحل التفكير في الجمع والتدوين، ذلك اذا عددنا المرحلة الاولى التي تحققت في عهد النبي ﷺ ومابعده ﷺ من اباحة تعدد القراءات مرحلة ثانية واقرار القراءة العامة ومنع ماسواها مرحلة ثالثة، أما مرحلة تدبير ما وجده الامام من لحن فمرحلة رابعة، وهي مرحلة التنبيه على ما يمكن ان يتلافى الخطر الجديد الذي وجده الامام في أجواء مجتمع الاختلاط مجتمع مدينة البصرة فكان أن سعى الامام في دفع الضرر عن لغة القرآن اذ من مهام أهل القرآن وخاصته الحفاظ على سلامة أدائه من تسرب اللحن اليه، وكان الامام علي عليه السلام وتلميذه أبو الأسود الدؤلي في مقدمة أهل القرآن وخاصته لذلك بادر الى تأسيس مايحفظ به لغة القرآن

الكريم، من فشو اللحن والانحراف عن الصحيح، ولا سيما في قراءته أو كتابته فكان أن فتح الطريق الى تأسيس مايهيئ لتقويم الألسنة وتصحح الغلط ويسهم في حفظ النص الشريف ولا سيما بعد انتقاله الى موضع حاجة المسلمين من أهل البصرة مدينة الاختلاط وابتكار العلوم.

وكان من سعة انتشار آفة اللحن أن دخلت الى بيت أبي الأسود الدؤلي نفسه، ولذلك احتفظ بتوجيه الامام بما يحقق سلامة نطق القرآن وكتابته.

نستنتج هذا من الروايات التي تشير الى الحاجة الى ضبط الكلمات الملحونة وهذا هو الذي قد تحقق لاحقاً ونفذه أبو الأسود على المصحف الشريف، ومن نتيجته أن ربط تغير الضبط اللفظي بالتغير الكتابي الذي يؤثر في نطق الكلمات والتراكيب ومعانيها وكانت هذه هي نواة ما وضع من لبنات اولى ومنطلق اكتشاف منظومة اللغة والاعراب، فعد علماء العربية والمتخصصون بالقرآن الكريم أن نحو أبي الأسود هو في الواقع تثبيت النطق العربي حين قراءة القرآن، ولهذا بادر أهل القرآن الى ما يمنع من وقوع ما يهدد به خطر اللحن بعد أن استعدوا له، لأنه يهدد أقدس مقدساتهم.

والوقوف الى منع ما يمكن أن يتسلل الى النص القرآني من غلط أو وهم يؤثر في نطقه أو فهمه بوصفه مناط الأحكام التي تنتظم الحياة الجديدة بحسبه، وربما كان عصر الامام علي عليه السلام أحوج الى الضبط لأن الحركة السياسية كانت تنبعث من فهم النص الذي كان المتصارعون على السلطة يحاولون الاستشهاد به والاستفادة منه.

فكان لولادة هذا الحدث الكبير اجتماع ثلاثة عوامل مهمة هي التقاء عبقرية الامام علي عليه السلام بريادة أبي الأسود الدؤلي في بيئة البصرة الفاعلة والخلاقة التي تقدمت كل المدن الاسلامية في انبثاق العلوم ورعايتها فكان ذلك الاعداد لما ناسب هذا الإنجاز، فجاء النقط ليحيط النص القرآني بسياج من الحفظ والصون والدقة في نطق الحرف ومقطعه وكلمته وجملته مطابقاً للقراءة العامة التي استقرت في المرحلة الاخيرة من مراحل الجمع والتدوين زمن الخليفة عثمان بعد التوثيق الدقيق الذي تم بتوجيه من الامام علي عليه السلام الذي

هو أقرب الناس من رسول الله ﷺ لنص سماوي حفظه الله جل وعلا بالمبعوث رحمةً للعالمين وبمن وكله حفظه من بعده وهو المحفوظ قبل هذا وذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وهكذا استطاع المؤلف الفاضل في جهده القرآني هذا -على حد تعبير الاستاذ الدكتور محمد جواد الطريحي في كلمته التي وشح بها الكتاب -من أن يربط ربطاً عقلياً منطقياً بين جمع القرآن وتدوينه وضبط حروفه من جهة وتأسيس النحو العربي من جهة أخرى استناداً الى الروايات من جهة والى منطق تأسيس علم النحو وتطوره وعلى هذا فقد أصاب المؤلف هدفين: جمع القرآن وتدوينه وتطور علوم اللغة والنحو وأثرهما في الأداء وسلامة القراءة وضبط مخارج الحروف.

أخيراً جاءت الدراسة شاملة جمعت بين الدراسة القرآنية والدراسة اللغوية والنحوية، نسأله تعالى التوفيق للمؤلف والسداد لأعماله المماثلة.